

سيمائية اللغة الانفعالية في رواية "طريق جهنم"

صفاء امحمد ضياء الدين فنيخرة

كلية التربية - جامعة مصراتة

s.efnikra@edu.musratau.edu.ly

الملخص:

يهدف البحث إلى تحليل اللغة الانفعالية للذات الساردة في رواية (طريق جهنم) للروائي أيمن العتوم، وذلك للكشف عن طبيعة اشتغال اللغة السردية على مستوى الانفعالات والعواطف، من حيث الدلالات الإيحائية التي تتضمنها، وطبيعة الصلة بين الذات واختياراتها اللغوية، وطبيعة معاني العبارات الانفعالية في سياقاتها المختلفة، بحيث لا يحضها المتلفظ للحجاج المنطقي العقلائي، ولا يهدف للإقناع المباشر، بقدر ما يقصد التأثير في المخاطب واستمالاته عاطفياً.

الكلمات المفتاحية: السيمائية - اللغة الانفعالية - رواية طريق جهنم .

The Semiotics of Emotional Language in a novel The Road to hell.

Safaa Emhemmed Diyaa Al Deen Fnikra

Arabic Language Faculty of Education Misurata University

Abstract: The research aims to analyze emotional language For the narrating self, In the novel (The Road of Hell) by the novelist Ayman Al-Atoum , To reveal the nature of the work of narrative language at the level of emotions and feelings , In terms of suggestive connotations it contains , and the nature of the connection between the self and its linguistic choices , And the nature of the meanings of emotional phrases in their different contexts , So that the speaker does not expose, to the logical and rational pilgrims , It does not aim to convince , Rather, it is intended to influence the addressee emotionally.

Keywords: Semiotics - Emotional language - The Hell Road Novel -

المقدمة:

للسيميائية أو علم العلامات دور كبير في عملية إنتاج المعنى، من خلال تفكيك الوحدات البنوية وتأويلها والبحث عما تتضمنه من دلالات سيميائية، وقد ركز غريماش على سيمياء الفعل في تحليل النص السردى، وفي مرحلة لاحقة ميز بين الوظائف الموضوعية والوظائف الانفعالية من خلال سيمياء الأهواء، وذلك بتحليل الخطاب الانفعالي والبحث عن ثيمة الأهواء المتمثلة في جملة التظاهرات المعجمية والدلالية للغة الذات الساردة في خطابها السردى بشتى أشكاله وتموضعاته في النص السردى.

وإذا كان الأدب - بشكل عام - تعبير الذات الإنسانية عن أفكارها وعواطفها وانفعالاتها، فإن ذلك أكد وأجلى في ما يسمى بأدب السجون، هذا الأدب الذي كتب بمداد الألم والأمل والمعاناة، وقد وقع الاختيار على مدونة سردية هي رواية (طريق جهنم) للروائي أيمن العتوم، لأنّ موضوع هذا النوع من الكتابة تغلب عليه اللغة الانفعالية، فهو رصد لحالات ذاتية السجّاء بما فيها من تشظّ وصراعات، ويتأسس على معجم انفعالي مكثف، فهو يعول على الجانب النفسي والانفعالات بطبيعة المكان المنتج لمعاني الكبت والقهر والحزن والتمزق والضياع والعذاب واليأس والغربة والفقْد والحنين، وما يقابلها من أهواء الكبت والعنف والتعذيب والسادية، كما أنّ ما يعزز اختيار هذه الرواية تداخلها الأجناسي مع السيرة الذاتية، فهي - في جانب منها - تركز على رؤية الذات، وتقوم على المنطق الزمني الاسترجاعي، وتتحدد زاوية النظر من رؤية داخلية، ومن هنا فقد اقتضت الدراسة على استقصاء اللغة الانفعالية لشخصية البطل فيها، وهو علي العكرمي.

خطة البحث:

اقتضت الرؤية المنهجية للبحث تقسيمه إلى مبحثين: المبحث الأول يحتوي الجانب النظري، ويشمل مفهوم اللغة الانفعالية ومفهوم السيميائية والتعريف بالرواية (مدونة البحث) من خلال قراءة في المتن الحكائي، والمبحث الثاني الجانب التطبيقي الذي يحمل عنوان البحث نفسه (سيميائية اللغة الانفعالية في الرواية) وتضمن عدة عناوين بحسب الأنماط المختارة، وهي: لغة الألم، لغة السكينة الجسدية والنفسية، لغة الرضوخ والاستسلام، لغة الصمود والمقاومة، لغة الصراخ، لغة العنف أو العنف اللغوي، اللغة السادية، لغة

الأنس، لغة الجسد، لغة الصمت، لغة التسامي، لغة الاحتواء وتقبل الآخر، اقتصر على نماذج مختارة من المقاطع السردية التعبيرية والوصفية للشخصية الرئيسية في الرواية، وذلك نظراً لطبيعة هذا النوع من البحوث، واختتم البحث بالخاتمة فقاومة المصادر والمراجع.

أهداف البحث:

مقاربة اللغة الانفعالية في الرواية مقارنة سيميائية، واعتبار أنّ الانفعال هو جوهر الدلالة، وذلك بغية الوصول إلى آليات اشتغال الدلالة الانفعالية سواء أكانت بالسلب أو الإيجاب، وصلتها بالذات الساردة وبالأخرين، وتظهراتها على مستوى الخطاب معجمياً وتركيبياً، بمعنى آخر: تدرس سيميائية اللغة الانفعالية دراسة معجمية دلالية وتركيبية ضمن متواليات سردية، أي البحث عن المعنى السيميائي لهذه اللغة في المقاطع النصية سواء أكانت فقرات مقتطعة أم مقاطع كبرى تشمل البنية الكلية للنص.

أهمية البحث:

1. إنّ هذا النوع من الدراسات يعيد الأهمية للذات ولحياتها الداخلية، بعد إقصائها نتيجة الإكراهات الفلسفية للبنوية الشكلانية، كما أنه يبين أهمية التلقي النفسي للنصوص السردية، وإعادة إنتاجها دلاليًا من منظور السيميائية وعلم اللغة النفسي، ومما لاشكّ فيه أن أهمّ ما في الرواية هو قدرة الروائي على استبطان النفس الإنسانية والكشف عن أسرارها وخباياها العميقة، وإظهار ما في وعيها ولا وعيها من مخاوف وأمراض وعقد وصراعات وأحاسيس مكتوبة، ويشترك معه القارئ قراءةً وإعادة إنتاج .
2. بيان مفهوم اللغة الانفعالية، وتلمس خصائصها السيميائية، والكشف عن الطاقة الإيجابية لها إفراداً وتركيباً. وقيمتها في استجلاء العالم الباطني للشخصيات، ورصد صراعاتها وتقلباتها.
3. الكشف عن خصائصها في اللغة السردية لرواية (طريق جهنم)، والأدوات اللغوية التي وظفها أيمن العتوم في بناء السرد وصفًا أو منولوجًا أو حوارًا.

منهج البحث:

تستدعي طبيعة النصوص الأدبية منهجا يتناسب معها، ومن بين ما يلفت النظر في رواية طريق جهنم هو غنى اللغة وكثافتها وخصوصيتها الإيحائية، الأمر الذي يناسبه المنهج السيميائي، كما تتميز باستجلاء ما

في أعماق الذات الإنسانية من عواطف ومشاعر ورغبات وصراعات، ما قد يصلح لقراءةٍ تستلهم آليات ومفاهيم علم اللغة النفسي أو ما يعرف باللسانيات النفسية، نظرًا لتركيز هذا العلم على الذات ولغتها معاً، وقد حاولت المزج بينه وبين الأسلوبية من ناحية البحث عن الآثار النفسية للغة الانفعالية صوتاً ومعجمًا واختيارًا وتركيبًا، وسميائية الأهواء في دراسة البعد الانفعالي والعاطفي للعلامة اللغوية داخل النص، بشكل عام وحجول دون الاقتراب من آلياتها الإجرائية، لأن ذلك يحتاج بحثًا آخر ببيكلية وأهداف مختلفة.

مفهوم اللغة الانفعالية:

الانفعال لغة مشتق من الفعل، والفعل في العربية كناية عن كل عمل متعدّد أو غير متعدّد، أما انفعال فهو صيغة صرفية بمعنى المطاوعة، أي فعلت الشيء فانفعل، مثل كسرتَه فانكسر (ابن منظور، د.ت، ص 527-529)، ويشير الانفعال تداولياً إلى مشاعر الفرد وعواطفه الإيجابية أو السلبية على نحو محض ونخال من الأفكار، والانفعالات عادة ما تحتاج إلى تهديب وتقنين وتوسط وعدم مبالغة، وعلمياً اتفق على ستّ انفعالات أساسية هي: البهجة والحزن والاشمئزاز والخوف والغضب والدهشة، (عرار، 2007م، ص 30)، وتأتي التسميات الأخرى للانفعالات الأخرى تفرّيعاً عليها بالترادف والمركبات النفسية والعصائية الأخرى، أما المركب الوصفي (اللغة الانفعالية) Emotional Language فهي تعبير الإنسان عن هذه الانفعالات أو وصفه لها، وتُعرّف بأنها "اللغة التي تعبر عن الوجدان الإنساني بما يشمله من عواطف ومشاعر وانفعالات وتخطابه وتؤثر فيه محدثة تأثيراً معيناً في السلوك الإنساني"، (الغامدي، 2018م، ص 6)، وعادة لا تهدف إلى الإقناع المباشر بقدر ما تؤدي إلى التأثير العاطفي في المتلقي عند نجاح المتحدث في استخدامها وتوظيفها في محلها، ويمكن أن تثير مشاعر سلبية أو إيجابية بحسب نوعها.

تعدّ (اللغة الانفعالية) شكلاً من أشكال الخطاب التواصلي بين مرسل ومستقبل، أما الرسالة فتتمثل في صياغة كلمات ينقّس بها المنفعل عمّا بداخله، في الوقت نفسه قد يهدف إلى التأثير في المتلقي، واستثارة مشاعره وأحاسيسه بعبارة عاطفية مشحونة بمفاهيم ضمنية للحصول على استجابة عاطفية وردة فعل معينة إيجابية أو سلبية، بحسب الموقف والسياق، ولجان بول سارتر نظرية في الانفعال، حيث يرى أنه نوع من السلوك الخيالي أي المتخيل، وينفي عنه أي سلبية، كما أنه "ليس عرضاً جسمياً ولا هو حالة شعورية

داخلية، ولكنه علاقة موضوعية بالعالم، وإدراك للجانب السحري من الأشياء فيه... فحين أعجز عن تحقيق فعل... وتنسد أمامي سبل هذا التحقق، أنفعل ويكون الانفعال نحوًا من السلوك يستهدف القضاء على الموقف الصعب وتغيير العالم تغييرًا شاملاً، ولعلّ الغضب أوضح المواقف التي تتجلى فيها غائية الانفعال: فعندما أفضل في حلّ مسألة ما، فإني أغضب وأمرّق الورقة المدوّن عليها منطوق المسألة، وكأني بفعل هذا أُلغى الصعوبة التي تعترض طريقي دون أن أحد لها حلًّا" (سارتر، 2001م، ص 16).

وللغة الانفعالية مقامات تخاطبية خاصة تناسبها، فهي لا تتواءم ومقامات أخرى تتطلب الخطابات العقلية المجردة، وتوظيف الحجة الإقناعية، ونبد الهوى والميول والرغبات، وهذا لا يمنع من وجود خطاب ثالث يجمع بين العقل واللغة الانفعالية كالخطاب السياسي الذي يهدف للتأثير على الجمهور وكسب تأييدهم، كما أنّ العاطفة والعقل لا يكونان دائماً على طرفي نقيض.

وقد تُعدّ اللغة الانفعالية جزءاً من اللغة البراغماتية في دائرتها الأكبر؛ لأنها التي تعتمد على التواصل وتُدرس ضمن سياقاتها الاجتماعية، وفي أثناء تفاعل المتلفظ مع الآخرين.

وفي علم المنطق تُعدّ اللغة الانفعالية نوعاً من المغالطات المستنكرة في السياق الحجاجي، فهم يحذرون من توظيفها في قتل التفكير المنطقي والاستدلال بالحقائق العقلانية، فلغة المنطق والعلم هي اللغة الموضوعية الخالية من المحتوى العاطفي، ولهذا "فإنّ الألفاظ المشحونة كثيراً ما تكون فخاخاً منطقية تدفع المرء إلى أن يقفز إلى استنتاجات تقويمية غير مشروعة، وتأتي المغالطة حين يستخدم الجادل ألفاظاً مشحونة بدلا من الحجة، أو حين يتأثر المتلقي باللغة الملونة التي تغلّف بها الحجة بدلا من أن يلتفت إلى مناقب الحجة في حد ذاتها" (مصطفى، د.ت، ص 111)، وهذا في الخطابات المنطقية أما في الخطاب الأدبي فإنها توظّف لأداء معانٍ وتحقيق أهداف تتناغم وطبيعته التداولية، و"ما أتعسنا حقاً لو تخلينا عن انفعالية اللغة وقصصنا أجنحة الكلمات، وكم ترين البلاد على أحاديثنا لو أننا توخينا الحياد العلمي في كل شيء، بدلا من أن نقول مع الشاعر الشريف الرضي:

وتلفتت عيني فمد خفيت عني الطلول تلفت القلب

فهذا اللغة المشحونة بالمشاعر تتضح بما لا يؤديه قولنا: وبقيت أنظر إليها بحاسة البصر، فلما أصبحت خارج مجالي البصري بدأت أستدعيها في الذاكرة، (مصطفى، د.ت، ص 110).

وتستمد اللغة الانفعالية وجودها من ظاهرة التعدد الدلالي للكلمات، فثمة معانٍ معجمية ثابتة تخص التصور المادي أو التجريدي، يشير إلى العلاقة بين الألفاظ وما تشير إليه، والمتفق عليه بين الجماعة اللغوية الواحدة، وثمة معانٍ أخرى ضمنية غير معيارية ومكتسبة، وتتسم بصفة التغير والتطور بحسب الزمن والسياقات الثقافية المختلفة التي تنزل فيها اللغة، والتي تشكّل خبرات المتخاطبين، وثمة أنماط أخرى من المعاني كالمعاني الأسلوبية التي تتبع من تنوع استخدام الكلمة في الاستخدام التداولي، الأمر الذي حدا ببعض اللغويين إلى نفي ظاهرة الترادف في العربية، والمعاني الإيحائية التي تتصل بالمؤثرات التعبيرية للكلمة، سواء أكانت مؤثرات صوتية أم صرفية أم دلالية، (عمر، 2006، ص 36)، أما المعنى النفسي فيقصدون به "ما يتضمنه اللفظ من دلالات عند الفرد، فهو بذلك معنى فردي ذاتي، وبالتالي يعتبر معنى مقيدا بالنسبة للمتحدث واحد فقط، ولا يتميز بالعمومية، ولا بالتداول بين الأفراد جميعاً"، (عمر، 2006، 39)، بحيث يحمل المقاصد الآنية الوجدانية والانفعالات النفسية للفرد، ويحمل تاريخه النفسي، وهو ما يتوافق ومفهوم اللغة الانفعالية في هذا البحث.

ويتحدث تشارلز ستيفنسون الفيلسوف التحليلي عما سماه المصطلحات الانفعالية، تلك التي تحمل بالإضافة إلى معناها المعجمي شحنات عاطفية مكثفة وتصورات مسبقة تؤدي إلى الانفعال مثل: إرهابي - التعذيب - الحرية، وقد تستخدم العبارات الانفعالية بدلالات مزدوجة، كل دلالة تسخر في خطاب توجيهي معين؛ الأمر الذي يقودنا إلى مفهوم نظرية أفعال الكلام speech acts لدى جون أوستن والقدرة على إنجاز الأشياء بالكلام، بسبب هذه الطاقة التأثيرية، أو الوظيفة الإقناعية أو الإيعازية كما يسميها، (أوستن، 1991، ص 83)، بحيث يحدث التأثيرات المطلوبة في المخاطب.

وإذا اتصفت اللغة الانفعالية من منظور علماء الدلالة بالفردية، فإنها إذا كانت ضمن سياق جمالي ولغة فنية فهي تتحول من الوظيفة التوصيلية إلى وظيفة استقلالية بحيث تكون غاية في ذاتها، فهي من المنظور السيميائي وبوصفها واقعة سيميائية تندمج فيها العوامل النفسية بحالات الوعي الجماعي، (يوسف،

2005، ص 137) ، بمعنى إمكانية القراءات المتعددة لهذه اللغة العلاماتية، وإدراك أبعاد العلاقة بين هذه اللغة وما تعبر عنه وتحيل إليه، وذلك بوضع هذه العلامات في سياقها السيكلوجي، فكما ترمز الكلمات للأشياء المادية فهي كذلك تحيل إلى العواطف التي تحدث فيها الإحالات، (أوجدن وريتشاردز، 2015 ، ص 339).

ومن اهتمامات علم نفس اللغة أو اللسانيات النفسية تفسير الأنماط اللغوية وما تحمله من معنى تفسيراً انفعالياً الذي هو غير المعنى العلمي الاصطلاحي، لأنّ الكثير من ألفاظنا إنما هي مشحونة بمعان نفسية انفعالية، عكس خبرات الفرد الخاصة والجماعية، وهذا هو التمايز الدلالي للكلمات، كما يدرس اختلاف نسبة العاطفة بين الأشخاص عن طريق ملاحظة التعبيرات اللغوية لديهم فمثلاً "التعبيرات التي هي تعاطف متدفق في مجتمع ريفي بسيط ربما تبدو أحياناً لإنسان المدينة المعقد نوعاً من الجلافة"، (إفيتش، 2000 ، ص 312) ، ومن وجهة نظر هذا العلم فإنّ "بعض الألفاظ تحصل على معناها من خلال ارتباطاتها الانفعالية بالمواقف المتباينة التي مرّ بها الفرد ويتشكل معناها الدلالي وفقاً لهذه الخبرات السارة منها والمؤلمة، كما يتوقف معنى اللفظ أيضاً تبعاً لنوعية المخاطبة وعرض ألفاظ العبارات في موقف ما وبطريقة ما تثير نوعاً من الدلالات لدى المخاطب... ويطلق على ذلك: علم دلالات الألفاظ"، (عطية، 1995 ، ص 29) ، فلا يمكن تجاهل الحالة النفسية للمتكلم أثناء حوار أو حديثه، وجملة دوافعه وأهدافه من هذا الحديث، فالفرد "لا يعبر ولا يتكلم ليصوغ أفكاراً فحسب، بل إنه في الواقع يتكلم ليؤثر في غيره ويعبر عن انفعالاته إزاء هذا الموضوع أو ذلك، فالعبارات اللفظية إذن ذات قيم انفعالية معينة" (عطية، 1995 ، ص 29) ، وكل عبارة بما جانب فكري وجانب عاطفي انفعالي، بل إنّ "التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقاً من لون عاطفي ... فمن النادر جدا -عندما تتسابق في ذهننا ونحن بصدد التعبير عن فكرة ما، عدة عبارات مختلفة- أن تكون إحدى هذه العبارات عقلية محضة، وأنّ تعبر عن استدلال منطقي بحت، أو أنّ تصوّر حقيقة أو حادثاً ما في بساطته العارية من كلّ لباس، أرى حادثاً يقع أمامي فأصبح راثياً لحال صاحبه: "آه! المسكين!"، وأصادف صديقاً لم أكن أتوقع لقاءه فأقول له: "أنت! هنا!"، فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية واضحة كلّ الوضوح. فإذا صيغت في لغة المنطق الجدلية صارت "أرثي لهذا المسكين" أو "يدهشني أن أراك هنا"، (جوزيف، 1960، 183-184) ، وواضح أنّ هذه الشحنة الانفعالية موجودة

في صوتية الكلمات وإيقاعها ودلالاتها أيضا، كما أنّ وجودها مع الفكرة تعطيها كثافة شعورية و طاقة تأثيرية تُعمل أثرها العميق في المتلقي.

اللغة الانفعالية والأدب:

لاشك أن الأدب -شعراً وثقراً- بل الفنون جميعها هي استحواذ على الانفعال والمشاعر والتعبير عنها وتمثيلها بوسائط لغوية ومادية مختلفة، وقديما تميز الشعر باللغة الانفعالية أكثر من السرد، فما سمى الشعر شعراً إلا لصدوره عن الشعور والعواطف والانفعالات، أما السرد فوظيفته توصيلية إشارية لنقل السيرة الواقعية للأحداث، عبر قنواته السردية من شخصيات وزمان ومكان وغيرها، ولكنه ومع ظهور الرواية الجديدة وبروز الذات، والاستعانة بتقنيات لغوية وفنية متنوعة أصبح الفن الروائي يتضمن الشحنات الانفعالية المباشرة في لغة الراوي والشخصيات عموماً، لأنها كما تقول أفكارها وترجم معتقداتها ووجهات نظرها، هي أيضاً تعبر عن مشاعرها وأهوائها وآمالها وآلامها بطرق تعبيرية كثيرة .

من السيميائية إلى سيميائية الأهواء :

تنتمي السيميائية إلى المناهج النقدية النصية التي أفرزتها مدرسة باريس بزعامة غريماس، وتعتبر أنّ كل خطاب يتكون من علامات اتصالية تنتظم في بنية لها آلياتها الخاصة والنوعية وتنتج معنى، وقد تكون هذه العلامات الاتصالية مكتوبة أو شفوية أو مرئية، وذلك في أجناس الخطاب المختلفة (الأنواع الأدبية والخطابات السياسية والنصوص القانونية والفلسفية...) من السينما والمسرح: كتعبيرات وحركات وإيماءات الوجه والجسد عموماً، إلى الفضاء(السينوغرافيا) -التي تعني البيئة المكانية المتنوعة للعرض المسرحي من مناظر ومنصات وإضاءة وأصوات ومؤثرات خاصة-، والأيقوني كشكل الكتابة مثل (علامات الترميز وكيفية تقسيم بياض الصفحة والهوامش والإهداء والعناوين...)، إلى اللوحة التشكيلية، ولغة الإشهار وأنظمة المؤضة، أي كل ما يتم به الاتصال لتحقيق التواصل الإنساني، بتعبير آخر: كل ما يتم به إنتاج المعنى من خطابات مختلفة، (المالكى، 2005 ، ص 145-146) وقد اتكأ غريماس على الخطاب السردى خاصة؛ لاستجلاء نظام الخطاب من خلال بنيته: البنية السطحية التي تمثل العنصر السردى أو الخطابي، والبنية العميقة التي ترصد شبكة العلاقات المتولد عنها المعنى.

ومما لاشك فيه أن السيميائية "من أهم المناهج النقدية المعاصرة التي وظفت لمقاربة جميع الخطابات النصية، ورصد كل الأنشطة البشرية بالتفكيك والتركيب، والتحليل والتأويل، بغية البحث عن آليات إنتاج المعنى، وكيفية إفراز الدلالة عبر مساءلة أشكال المضامين، مع سبر أغوار البنيات العميقة دلالة ومنطقاً، من أجل فهم تعدد البنى النصية، وتفسيرها على مستوى البنية السطحية تركيباً وخطاباً" (حمداوي، 2015، ص 6)، وإذا كانت السيميائية نظرية للإشارات العلامية بكل أنواعها، فهي تمثل "أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاءً بالأنساق الأيديولوجية الكبرى" (بنكراد، 2015، ص 25)، ومن هنا فهي ليست منهجاً لتحليل النصوص الأدبية فقط، بل تتجاوز ذلك إلى فك الشفرات، وتفجير طاقاتها ومحملاتها الإشارية الكامنة ومخزونها الفاعل، من خلال الاحتكام إلى العلاقة بين الدوال ومدلولاتها، وهذا يؤدي عادة إلى "إنتاج معرفة، لا مجرد الوقوف عند تحديد مكونات الواقعة المدروسة ورصد تنوعاتها الممكنة" (بنكراد، 2015، ص 56).

وقد حدث تطورٌ في السيميائية السردية في تسعينيات القرن العشرين وبعد ربع قرن من بروز نظرية غريماس، حتى انتقل مع جاك فونتان في مؤلفهما: (سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس) من سيميائية الأعمال التي اهتمت بالأحداث، إلى سيميائية الأهواء بوصفها نظرية تختص بدراسة الانفعالات النفسية والجسدية داخل المقاطع النصية وفي أثناء عملية السرد، ويستقلّ فيها البعد الانفعالي (الهوي) عن البعدين المعرفي والتداولي، لكي يكمل النقص في النظرية السيميائية الأساس، وتوصف في هذا المنهج آليات اشتغال المعنى الانفعالي داخل الخطابات الاستهوائية في النصوص المختلفة، ومن هذا المنطلق فإن خطاب الهوى المتضمن اللغة الانفعالية يعدُّ علامة تتمظهر نصياً وتنتج معنى تتفاعل معه الذات القارئة، وهنا يشكل هذا الخطاب بعداً جديداً داخل المسار التوليدي هو البعد الانفعالي، فالإنسان لا يفعل فقط، إنما يضمّن فعله شحنة انفعالية تحدد درجة الكثافة التي يتحقق من خلالها هذا الفعل، وهو إشارة إلى طبيعة كينونة الذات الفاعلة وتأثيرها في فعلها، وهذه الظاهرة "مألوفة تنتمي إلى المعيش اليومي: ظاهرة الهوى كما يمكن أن تتجسّد في صفات يتداولها الناس ويصنفون بعضهم بعضاً استناداً إلى إمكاناتها في الدلالة والتوقع الانفعالي، فالبخل والغيرة والحقد والحسد والغضب وغيرها من الصفات هي كيانات تعيش بيننا ضمن ما تحدده العتبات التي يقيمها المجتمع... فالهوى ليس عارضاً أو مضافاً أو طارئاً يمكن الاستغناء عنه أو

التخلص منه، كما يمكن أن نتوهم ونحن نحتفي بالعقل... إنه جزء من كينونة الإنسان وجزء من أحكامه وميوله وتصنيفاته، وباعتباره كذلك فقد كان دائماً محط ذم وتحذير، وليس الهدف من دراستها التعرف على العلامات الدالة عليها، بل الاهتمام بآثارها المعنوية كما تتحقق في الخطاب، فهوى السيميائيات هوى تركيبي دلالي لا يلتفت إلا للممكّنات الكامنة التي تتجسد من خلال وجوده الأدبي، وتحوله إلى برامج سردية تتضمنها محكيات تضع الهوى ضمن سياق خطابي بعينه (غريماس وفونتاني ، 2010م ، ص 9 - 12) ، وقد تمثل اللغة الانفعالية في السلوك الجسدي، أو ما يمكن أن أطلق عليه لغة انفعال الجسد، مثل "نظرات الغيور وحركات البخيل وتشنج الغضوب، فعلى عكس الفعل الذي يندرج ضمن نشاط يفترض معرفة ووعياً وغاية منطقية ، فإنّ الهوى يعيش بالاستيهامات الإيجابية منها والسلبية التي تتخذ شكل تصورات تعذب أو تجلب الراحة للذات الهويّة" (غريماس وفونتاني ، 2010 ، ص 12) .

(طريق جهنم) للروائي الأردني "أيمن العتوم" قراءة في المتن الروائي:

هو روائي أردني من مواليد 1972م حاصل على البكالوريوس في الهندسة المدنية ، والليسانس والماجستير والدكتوراه في اللغة العربية، لديه مقالات ومسرحيات ودواوين شعرية وروايات ، وقد اشتهر بالروايات التي برع فيها لغة ومضمونا، ويتميز بلغته المثينة ودقة وصفه واقتباساته من القرآن الكريم ، وأول رواياته: (ياصاحبي السجن) في 2012م ، يحكي فيها عن تجربته في الاعتقال السياسي عام 1996-1997م ، وفي السنة نفسها صدرت له رواية (يسمعون حسيستها) وهي من أدب السجون أيضا ، ثم توالى الروايات: (ذائقة الموت) و (حديث الجنود) و (نفر من الجن) و (كلمة الله) و (خاوية) و (اسمه أحمد) و (تسعة عشر) و (أنا يوسف) و (أرض الله)، أما الرواية (طريق جهنم) - موضوع الدراسة - فقد صدرت في 2018م في 501 صفحة .

تقدم هذه الرواية جزءاً من تاريخ ليبيا الحديث، وهي فترة حكم القذافي (1969-2011م) من خلال أحداث سياسية ساخنة تتسم بالطغيان والظلم من طرف الحاكم، والغليان والغضب والرفض المعلن واللامعلن من طرف المحكوم حسب الزمن آنذاك، منطلقاً من ثورة الربيع العربي، مشيراً إلى منعطفات سياسية خطيرة لها صلة وطيدة بصيرورة الأحداث وتحولاتها في الرواية، وبخاصة تلك المتعلقة بعلي العكرمي،

مثل: الثورة الثقافية وخطاب زوارة وقصف أمريكا لطرابلس، والتغيرات التي أحدثتها سياسة القذافي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتعليم، وهي فترة لا تُتعب الروائي في تحويلها إلى مادة مثيرة وحبكة مكثفة تكاد تقطع أنفاس القراء في تتبع مساراتها، بل كل ما عليه تحويل هذا التاريخ العجيب إلى (عالم فني)، وهذا ما فعله العتوم بتجسيد الواقع السياسي بكل أبعاده العميقة المصاحبة للحدث وبالإضافات الجمالية المؤثرة في القارئ من تضمين اللغة السردية كثير من الاقتباسات من القرآن الكريم والشعر العربي والحكم والأمثال، ومن المعروف بدهاء أن الأدب أكثر صدقاً وتأثيراً من التاريخ؛ فخيال المؤرخ مُلحم بالحقيقة، أما خيال الأديب مفتوح إزاء كل الاحتمالات، وكل ما يمكن أن يعطي الحدث إضاءة وعمقاً وأبعاداً خالدة من ظلال وخفايا ودوافع وتأويلات، ومعروف أن الروائيين يشبعون البنيات التاريخية نفسياً واجتماعياً وفلسفياً، حيث يغوصون في مكونات الأشخاص وينصتون لأفكارها وهواجسها وأحلامها ويفهمون دوافع سلوكها واختياراتها ويشعرون بفرحها وحزنها، مستعينين بخبراتهم وثقافتهم وقراءاتهم للعلوم المختلفة مثل علم النفس بفروعه الكثيرة وغيره من العلوم الإنسانية، الأمر الذي يمنحه القدرة على توليد الأحداث وتعميم النماذج الإنسانية

وإذا كان لا بد من تصنيف هذه الرواية فهي رواية تاريخية لاستعانتها بمسرد التاريخ ووقائعه قراءة ومعاينة وتوثيقاً ومشاهدة، وإن كانت الشعرية تقل في هذا النوع من الروايات لصالح المرجعية بخلاف (طريق جهنم) فالجانب التخيلي فيها محتفى به، فثمة توحد بين الواقعي التاريخي والفني التخيلي دون إغفال الجانب الجمالي.

وهي رواية واقعية لأنها تحكي أحداثاً واقعية في مكان وزمان واقعيين صاغها الروائي بحبكة فنية عالية، وهي رواية سياسية فالواقع سياسي والأحداث والصراعات والشخصيات الرئيسية سياسية، فمتنها ينشطر إلى جزئين بحسب تعدد الرواة، جزء بطله شخصية (العقيد) كما يصفه الروائي ورجالاته المعروفون على الخارطة السياسية إبان حكمه، بأسمائهم الحقيقية مثل: منصور والمعتصم ويونس. والسجانون والجلادون المشاهير في تلك البيئة.

وهي رواية من جنس أدب السجون والمعتقلات، لأنها تتخذ السجن الفضاء الروائي لها. ويتميز هذا النوع من الأدب بحس إنساني وعاطفي، ومصداقية في التجربة والمشاعر، وقدرة على التأثير في المتلقي، لأن الكاتب إما أن يكون سجيناً أو معتقلاً دون تجربته الذاتية، أو كاتب عاصر هذا السجين أو سمع عنه.

وهي —بعد— رواية سيرية تتخذ من السيرة الذاتية مادة لها، مدعمة بالوقائع والتواريخ وأسماء الشخصيات الواقعية، وذلك انطلاقاً من جزئها الثاني الذي يمثّل سيرة الشخصية المحورية فيه، وهو السجين السياسي في عهد القذافي: علي العكرمي، وما يدل على كونهما بطلي الرواية انفراداً بالتصدير لها، وظهرت شخصيات أخرى قابلهم وشاركت في صنع الحدث، أو استدعاهم من الذاكرة، أو روى عنهم من معتقلين وضحايا هذا النظام السياسي، مثل عمرو النامي _الشاعر عبدالعاطي خنفر وغيرهما.

وقد تحرك الروائي في كون سردي تمتزج فيه الحقائق الواقعية بالمتخيل، وقد أضفى على ذلك منطقاً تخييلياً فنياً يسمح بالانتقال بينهما دون أن يشعر المروري إليه بالتكلف أو الزيادة أو الهوة المصنوعة بينهما، وهو منطق يجعل المتلقي يشعر باللغة السردية والمواقف الأيديولوجية والأبعاد النفسية للشخصيات، والمفاهيم المتحققة بشكل جمالي فني في الرواية والتأكيد على الخصوصية الإنسانية، وقد صهر بين بنيتي الحكايتين للعقيد السجان والعكرمي السجون في بنية عليا تحسّد مظاهر الطغيان والدكتاتورية والقهر والغبن في أبعث صورها، وهما بنيتان متميزتان أيديولوجياً ومكانياً وزمانياً ونصياً أيضاً فلكل جزء من الحكاية فصل خاص به يبنى عنه العنوان، على نحو تناوبي فمثلاً كانت العناوين الأولى كالتالي: "العقيد-سفر الجرح-العقيد-بورتابينيتو سجن الحصان الأسود-مائة دلاعة رؤوس المساجين الحليقة-العقيد... الخ"، ويظهر هذا التناوب العلاقة السببية بين بنية الحكايتين، علاقة السبب بالنتيجة، فالدكتاتورية السياسية سبباً لما يحدث في السجون من مأس، والسياسي سبب للاجتماعي والإنساني. ولم يتبع العتوم أسلوب السرد التاريخي بل لجأ إلى التخييل المبتعث من الواقع، وتحرر من إكراهات التاريخ وأحادية المنظور إلى تعدد الرواة فأسند إليهم الأقوال والأفعال ومارست الذوات انفعالاً وعذاباتها بكل حرية.

وتعدّ الرواية شاهداً على ما يحدث في السجون من أهوال يشيب لها الولدان، وينقطع لها نَفْسُ القارئ، وقد أنتجت في نهايتها دلالة الانفراج بعد الشدة، وذلك بموت العقيد وخروج العكرمي وحصوله على حريته.

وقد وظّف الروائي الوصف بكونه أداة أسلوبية تسهم في بعث الحقائق التاريخية واستلهاام الشخصيات وتجسيد حياتها وظروفها وترسيخ أحداثها، كما منح السرد أجواء تخيلية بتركيزه على المفارقات المؤلمة، فأخرج الرواية من إطار السيرة الواقعية إلى العمل الفني، وبعض أنواع الوصف فيها نوع من الديكور والمسرحة والتوثيق، وذلك عندما يصف الأبنية والأشياء كخلفية ضرورية للأحداث وخلق الفضاء المكاني للشخصيات، ويتمثل هذا في الوصف المسهب للسجون وبخاصة سجن الحصان الأسود، وثمة نوع آخر من الوصف يتسع ليشمل حتى وصف المشاعر والانفعالات وهو وصف سياقي يخدم سيرورة الحكاية ومآلاتها.

ولعل العنوان هو العتبة النصية والمضمونية معاً ، للمبنى والمتن معاً ، فهو يوحى بالفضاء الروائي للشخصيات حيث يعيشون الأحداث المريرة طوال ثلاثين سنة، طريق كانت نهايته الموت لدى الكثيرين، بعد أصناف العذاب الجسدي والنفسي: الإذلال والتحقير والصعق بالكهرباء والجلد والصفع والفلقة والتجويع وقلع الأظافر والتعليق في الأسقف والضرب بالكاو، إنه "أمر فوق الخيال وفوق الاحتمال" 82، وكأنها جهنم على الأرض، فقد وصف الله العذاب فيها بالخلود ﴿إلا طريق جهنم خالدين فيها أبداً﴾ (سورة النساء، الآية 169) ، وتشير الترددات النصية الداخلية للعنوان إلى أنه فضاء كل من الشخصيتين المتناقضتين: الحاكم والمحكوم، فتصدر الرواية بقول العقيد: "من جهنم جئت، وإلى جهنم أعود" 5، وفي الوقت نفسه نرى ترددات أخرى تتعلق بمعاني القهر والنهاية واليأس، "كان قد بدأ في طريق يخرج من هذه الدنيا بالفعل، كان يبدو أنه يسير في طريق الالعودة" 299، وفي موضع آخر تكون جهنم مرادفاً للغيب بدلالة واسعة تسع الجنون والمرض والموت، "كانت طريق الجنون مثل طريق المرض ومثل طريق الموت كلها تُفضي إلى غياب أليم" 395، وأحياناً ترد مفردة (جهنم) في موضع يحيل إلى الحقيقة الدينية والمصير الأخروي المعروف، ولكن السياق يضيف عليها كثافة مجازية وشعورية وانفعالية، يقول العكرمي: "لكن العسكري الذي كان يقسم الناس بعصاه إلى الجنة أو إلى جهنم، دفع بي عند تلك اللحظة إلى جهنم ودخلنا المحرقة التي ستكون مأواي أكثر من نصف عمري" 36.

سيمائية اللغة الانفعالية في الرواية:

1. لغة الألم:

الألم: الوجد، وهو نقيض اللذة، إنه انفعال يثير مشاعر التوتر ويؤدي إلى الإحباط والاكتئاب، وهو حديث ذو شجون في رواية كرواية طريق جهنم، فلا شيء غير الألم ينتظر السجين، الألم بكل أشكاله ودرجاته، بداية من الألم الحسي المتعمد إلى الألم النفسي العميق، ففي النوع الأول يأتي هذا المشهد في سياق عقاب المساجين الذين تظاهروا رافضين تصويرهم بكاميرات فيديو لعرضها في تلفزيون النظام السياسي، وهو الضرب بالفلقة "انزلوا للفلقة"، وهو أقل وأخف نوع من الألم الجسدي، بل إنها مجرد استفتاح للعذابات، "ومعناها في لغة السجن: أهلا وسهلا بك إلى عالمنا"80، كما يقول الراوي متهكماً، وفي المقطع السردى الآتي يصور الراوي انفعاله الحسي في تدرجه المرعب إلى أن وصل إلى فقدان الوعي، يقول: "وانهالوا بمرأواهم الغليظة على رجلي، أطارت الضربة الأولى صوابي، فكتمت نفسي لكي لا أصرخ، لكن الضربة الثانية حلت نفسي، فأخرجته كما تخرج النار من فوهة اللهب الملتهب، ثم جاءت الضربة الثالثة كأنها غاصت في اللحم حتى نخرت العظم، فصرخت، ثم الرابعة فعلا صراخي، ثم تابعت الهراوات حتى فقدت الإحساس بالألم، وصراخي ذاب في المشهد"42-43، وقد وصف الراوي الإحساس الفسيولوجي بعبارات انفعالية تتدفق مندفعة يتكاثف فيها الشعور وتعلو الواحدة تلو الأخرى، يقول: (أطارت صوابي - حلت نفسي - صرخت - علا صراخي - فقدت الإحساس بالألم)، وهي لغة انفعالية داخل اللغة السردية، وفي موضع آخر يخرج الألم النفسي من الترسبات الداخلية في اللاوعي المتكونة من عمق المخاوف والرعب وطول كموثما في النفس، فكل صوت وكل حركة في السجن تنم عن ألم وتعد وتتوعد به، يقول: "صحونا على قرع أبواب الشيليات (الزنائين) وصياح السجانين، صوت خبط الحديد طعنة في القلب، والمزلاج الذي يحدث صريراً وهو يتحرك رمح نافذ، وهياج السجانين... يسبب الخوف والهلع والغثيان معاً"41، فالألم طعنات داخلية نافذة ومزيج من مشاعر يستجيب لها الجسد بالغثيان.

2. لغة السكينة الجسدية والنفسية :

السكون: ضد الحركة، سكن الجسد: إذا ذهب حركته، وسكنت النفس: إذا استقرت وهدأت وارتاحت، وكل ما هداً فقد سكن، سكنت الريح والمطر وسكن الغضب ، والسكينة: الطمأنينة والأمن والوقار والوداعة، (ابن منظور، د.ت ، ص 211) ، فبعد فقدان السجين الوعي إثر التعذيب يفقد حسية الأم فتتنزل عليه السكينة ويقرّ ويهدأ، فيستدعي صورة أمه في اللاوعي وينتقل من الانفعال الحسي الجسدي إلى انفعال الجسد نفسه بقربه الحميم من جسد الأم وروحها على مستوى البصر (وجهها ابتسامتها ودموعها) ومستوى اللمس، والمستوي السمعي التعبيري: " شعرت أن كل شيء قد سكن تماماً، فقط أصوات متداخلة خافتة تأتي من بعيد كأنني في حلم. ورأيت وجه أمي في تلك اللحظة ، كانت مبتسمة، رأيتها تأخذ باطن قدمي بكفيها وتقبلهما ثم تمسح بهما وجهها الملائكي ، ورأيت دموع بلورية تظفر من عينيها، قالت: "لا تبتس يا بني أنا معك" ولم أعد أحس بعدها بشيء، ولا أرى شيئاً. كنت قد فقدت الوعي"43، وفي هذه اللغة تعاضدت الصورة الحواسية والمتخيل الذهني للشخصية في تكتيف شعرية السرد.

3. لغة الاستسلام والخضوع:

تعدُّ اللغة الانفعالية هنا وصفية لا تعبيرية، بحيث يصف المنفعل موقفه وقد قضى السنوات الطوال في السجن ، المكان الذي سلب منهم إرادتهم وقدرتهم على الفعل واتخاذ القرار أو التغيير، يقول: "بدأنا نستقر في عالمنا الجديد. خياراتنا شبه معدومة ولذلك كنا نرضى بأي شيء وبكل شيء . أحيانا انعدام الخيارات هو الخيار الأفضل ، يريح، يوسع قدرة السجين على تقبل الأمر، ويجعله يندمج في أمر كان يرى الاندماج فيه من قبلٍ مستحيلاً"47، وتبدو ما في هذا الانفعال من مفارقات، فمعان مثل: الاستقرار والرضا والراحة وتقبل الواقع والاندماج مع المحيط الخارجي اتخذت مساراً سلبياً، هذا من الجانب الدلالي، أما بمنظور الأسلوبية الصوتية فيلمس القارئ ما في تكرار الياء والكسرة من إحساس بالذل والانكسار (الجديد، يريح، يوسع، السجين، يجعله، يندمج، مستحيل) .

4. لغة الصمود والمقاومة:

ومن الممكن أن نصفه بانفعال العقل الذي كان في موقف الدفاع إزاء الشعور بالذنب ووخز تأنيب الضمير جراء تركه لأمه في أواخر حياتها، وهذا النوع من اللغة الانفعالية اتسمت بالاتزان وترتيب الأفكار الإقناعية والتفسير الديني: " نحن لا نختار يا أماه مآلاتنا، لا أحد يجب أن تصادر حرته لحظة، لا تصدقي من قال إننا اخترنا بسبب من أفكارنا أن نكون خلف هذه الجدران ، أفكارنا لم تكن إلا وسيلة من أجل أن ينفذ قدر الله فينا هنا ... كانت أمي العطر الذي أنعش القلب في دخان الأزمنة "72

ويقول في لغة تأملية تعاضدت فيها الصور المجازية المتتالية والتشبيهات التي كادت تحول السرد إلى فكر وشعر، وقد سوغها وجودها في سياق المنولوج الذاتي للراوي، وهو نوع من السرد التأملي لطواهر الوجود وتفاعل الإنسان معها، (المالكي ، 2021 ، ص 21) " الإنسان معجزة، المخلوق صورة الخالق ، القدرة على الفعل إرادة ، العجز موت، التذرع بالأعذار ضعف ، الجلوس في دوامة الحياة الطاحنة دون أن تدري ماذا تفعل أو ماذا تريد كارثة . مواجهة الريح بالإعصار حل ، مغالبة الموج بيدين عاريتين في بحر هائج مقدم ومقدس على الاستسلام ... سنقاوم مادام هناك فرصة للنجاة من الموت ، ولو كان الإمساك بها كالإمساك بريشة في عاصفة"194.

5. لغة السخرية:

السخرية: الاستهزاء والاستهانة والتحقير والانتقاص من القدر، وتتداخل مع معنى الهجاء غرضًا شعريًا لأنه ذم وتعداد للنقائص والمعائب، فالسخرية أداة له لما تسببه من انفعال سيء في نفس المهجو، أما في السرد فيعدّ توظيفها من سمات الرواية الجديدة، حيث يتلاعب الرواي بالعلاقة بينه وبين المروي له، ويمارس علاقة سخرية خفية مع المجتمع الحكائي ، (المالكي ، 2021 ، ص 23) ، ويكون ظاهر كلامه مناقضًا لباطنه ، ففي السجن تصل النفس المكلمة لمرحلة السخرية والتهكم والتعبير المفارقة إحساسًا بتناقض الحياة والأحياء، وقد اعتبرها هنا نوعًا من اللغة الانفعالية نظرًا لما تحتزنه من اضطراب نفسي ومشاعر مريرة، ف"القلقة مثلًا كانت للاستقبال...ومعناها في لغة السجن: "أهلا وسهلا بك إلى عاملنا"80.

كما تكثر الأوصاف الساخرة للسجن وللسجان، يقول: "بعد شهرين من الولوج إلى عالمنا الفريد"69، ووظف الصفة نفسها للقذافي بعد الحديث عن طغيانه وجبهه للقتل والدماء، إنه "قائدنا الفريد"70، و"كنا وليمة السيّد الملهم، لم يكن يستطيع أن يفكر في شيء من أجل جماهيريته العظمى إلا إذا تناول حصته الوافية من ضحاياه. حتى إذا جاءه في إبريل من عام ما ضيف أو ملك أو رئيس، أجلنا إلى يوم مغادرته، فإذا غادر الضيف جعل حصته من الضحايا مضاعفة، وشهد بعضها بنفسه، وترنّم على صرخات مذبوحها حتى تهدأ نفسه، وتسكن روحه المضطربة!!"82، وبعد كل هذه الأحوال يصفه بالرحمة: "ثم لم يرق الحكم للنظام الرحيم فغيره إلى الإعدام والمؤبد"103.

6. اللغة الانفعالية (الصراخ):

الصراخ: الصوت الشديد عند انفعال ما كالألم أو الفزع والرعب أو حدوث مصيبة ما، فهو لغة انفعالية تعبيرية قهرية تلقائية من شدة القهر أو الألم، يقول الراوي واصفًا لها: "لم يكن أحد يرحم صراخنا، ولا يسمع استغاثتنا، ما من صرخة جاوزت جدران الزنازين فضلا عن أن تتجاوز جدران السجن الشاهقة، ظلت هذه الصرخات مكتومة، وتراكم بعضها فوق بعض، وتكتنف في قمقم الحبس لا تجد مخرجا إلا أن يشاء الله"77 - 78، ولا يخفى التراسل الحواسي هنا في إكساب الصوت سمة الحسية للمسية فالصوت الذي هو طاقة أو موجات وترددات تنتشر عبر الهواء، يتحول في السجن إلى شيء مقموع وينتقل من الكتم إلى التراكم والتكاثف وقد يؤدي ذلك إلى التحلل والتعفن في هذا القمقم الضيق.

7. لغة العنف أو العنف اللغوي:

العنف لغة قسوة وشدة، وهو ضد الرفق والتلطف، وعلى مستوى اللغة يعد لغة انفعالية سلبية تُلحق الضرر والأذى البدني أو النفسي أو العاطفي بالطرف الآخر، أو تتسبب به قولاً أو فعلاً أو إشارة، وفي علم النفس هو سلوك أو آلية نفسية عدوانية تعويضية تسعى إلى إنهاء العجز والخوف، فهو نوع من الهروب ورد فعل ضد القلق، وينم عن نفسية عدوانية ناقصة غير سوية، وهو أنواع فهناك عنف أسري اجتماعي، وعنف الدولة أو العنف السياسي الممنهج، وهو ما يمارس في السجون والمعتقلات لتركيبة المعارضين أو القضاء عليهم، ولعله أبرز ظاهرة مأساوية تنتشر في هذه الفضاءات، ولعل العنف اللغوي أخف أنواعه قسوة

وشناعة في هذا الفضاء، ومثاله: "استبدلوا الحيوانات بأسمائنا التي تشبع اضطرابهم، كان الواحد يقول لنا: " تعال يا تيس ... ادخل شيلتك يا حمار ... خذ الصحن ياثور، مد إيدك يا بقرة ..."82.

8. اللغة السادية:

وهي لغة تشي بحب السيطرة والتحكم والإذلال، والسادية نوع من اضطرابات الشخصية التي تجد متعة في تعذيب الآخرين، فالسجانون ساديون، وفعل القتل كان سهلاً يسيراً بالنسبة لهم، يقول الراوي " كان يمكن - ولا أدري كيف استطاعوا ذلك بالفعل - للواحد منهم أن يقتل أسهل مما كان يأكل، ويعذب أسهل مما كان يشرب، وينهال بالكابلات على أجسادنا العارية أسهل مما يتكلم ..."88

ويقول في موقف سادي آخر وبلغة أخرى "وذقنا يومها من العذاب ما لم نذقه من قبل، وبعد ساعتين تعب الحرس من ضربنا، وشبعوا من الضحك، وأتخموا من التلذذ بمنظرنا ونحن نحترق، فسكبوا الماء على النار"192.

وتتضح ما في لغة السادي من مفارقات صارخة في قوله: " لقد كنا نتسلى " إجابة عن سؤال ضحيته: " لماذا يفعلون بنا ذلك؟ وجاء الجواب من أحدهم ذات مرة وهو يوزع الطعام: لقد كنا نتسلى! ... كان يتسلى بالموت، ويتلهى بالذبح "270.

9. لغة الأنس:

الأنس: الألفة والطمأنينة والملاطفة، وهو ضد الوحشة والغربة، ولفظ الإنسان مشتق من الأنس والاستئناس؛ لأنه اجتماعي بطبعه، كما يقول ابن خلدون في مقدمته، يميل إلى الانتساب للجماعة والاندماج معهم والأنس بهم، وهذا ما يفتقده السجين في سجنه، حيث يكتوي بنار الوحدة والعزلة، ويتلظى بمرارة الفقد، فها هو العكرمي يحدث نفسه، بمشاعر الجبور عندما يخرجون من زنازينهم الضيقة إلى ساحة التشميس ما تسمى بالأريا، يقول في لغة انفعالية حميمة منضّدة بالإيقاعات المتناظرة: "النظر في العيون متعة، النظر في الوجوه نعمة، رؤية البسمة تعلو الحيا أكبر نعمة، حنين البشري إلى من يشبهه، توق القلب إلى من ينصفه الحديث، يبادل السلام، الأيدي تتماس مع الأيدي، تشعر بالدفء،

صقيع الغربة قاتل ، فكيف إذا كانت الغربة هنا مضاعفة "99، وكلها علامات تشي بالأنس والألفة، نظرات العيون وملامح الوجوه المحبة والابتسامة والتشابه الروحي والفكري وتبادل أطراف الحديث والمصافحة باليد، ويختتم هذا الانفعال الإيجابي بانفعال مضاد، عندما يصحح بافتقادها في غربة السجن، ما يسميه أحد النقاد بالسرد النفسي، وهو "سرد يمتحن التركيز على الداخل فضاءً بدل الخارج، ويناوش عميق أغوار النفس وآلامها، وما تعيشه من مشاعر شديدة الخصوصية" (المالكي ، 2021 ، ص 21 - 22).

10. لغة الجسد الانفعالية :

التواصل الإنساني نوعان: تواصل لفظي بالعلامات اللغوية، وتواصل غير لفظي وهو ما يسمى -أدبيًا- بخطاب الصمت، ويُقل من خلاله المعنى في شكل رسائل حركية وأيقونية كتعبير الوجه واتصال العين والإيماءات ووضع الجلوس والوقوف، وحالة القرب، والأفعال والحركات غير اللفظية تعمل على تدفق المحادثة بين الأفراد، وتسييرها بشكل معين، وهذا النوع من التواصل يختلف من ثقافة إلى أخرى (خلف ، 2021م ، ص 141) ، ويرى اللغويون أنّ مهارات أداء اللغة وتعليمها أربع: القراءة الصامتة والهجيرية، والتعبير الكتابي والتعبير الشفوي، ثم أضافوا لاحقًا مهارة خامسة هي المشاهدة والأداء البصري المسلط على الحركة والصورة، بحسب ما لها من دلالات سيميائية وثقافية (عرار، 2007م ، ص 8) ، فمن أمثلة لغة الجسد الانفعالية العضّ على الشفاه، يقول الراوي: " فتحتني العبرة وتخوني العبارة فأكتفي بأن أعض على شفتي من الوجع الذي في داخلي وأشيح بنظراتي بعيداً"105.

أما لغة العيون، فهي تعدّ من أدق وسائل الاتصال التي يتمتّع بها الإنسان لإظهار مكونات نفسه، لأن العينين تقعان في مركز بؤري في الجسد، فضلاً عن أنّ إنسان العين يعمل بشكلٍ غير طوعي، (عرار، 2007م ، ص 50) وقد كثر ذكرها في الشعر العربي في مقام العشق والتخفي والإشارة والرمز، يقول الشاعر العربي الذي استغنى عن لغة الكلمات بلغة العيون:

جعلنا علامات المودة بيننا مصايد لحظٍ هُنَّ أَحَقَى من السَّحَرِ

فأعرِفُ منها الوصلَ في لِينِ طرفِها وأعرِفُ منها الهجرَ بالنظرِ الشَّزْرِ (ابن الوليد، تح:الدهان،

1958، ص 8)

ولعل الفضاء السحني يستدعي معاني التحفي والاشتياق المكبوت غير المعلن بين الأم وابنها كما في هذا المشهد على لسان العكرمي: " كان شبك القفص يمنعها من احتضاني ، فتكاد تذيب تلك القضبان بنظراتها الحانية من أجل أن تصل إلّي أو إلى شيء مني . تسيل دموعها بصمت على وجنتيها وهي تلهج باسمي ... "فتحتضن يدي"، "سؤال قاتل كان يتردد في العينين"، فهما تتساءل وتنطق وتتكلم، بل تكاد لغتها تذيب الحديد، وقد ساندت لغتها لغة الوجه كالدموع تسيل على الوجنتين، واليد تحتضن اليد. وفي موضع آخر تشي العيون بطبيعة الشخصية " كل شيء في ملامح وجهه تغير، باستثناء عينيه ، ظللتا عيني بدوي عنيد ، ليس من طبعه أن يشكو حتى لنفسه ما ألمّ به من عنت "149، وتبدى لغة العيون في أجلى صورة وأكثرها وجعاً في الفقرة التالية: " زارني أمي في هذا الصباح، كانت مجعدة ، شاحبة الوجه ، سألتها عن أخبارها ، فظفرت من عينها دمعة ، أرادت أن تقول ، تهيأت كلمة للخروج من فمها ، لكن الدمع منعها"164 .

ولكن قد يجثم الحزن البهيم على النفس، ويتملكها اليأس، وقد أُنخمت قمعا ومذلة واحتقارًا، فيعجز اللسان وتعقم كل تعابير الجسد فيغدو كالصحراء القاحلة، كهذا المعتقل الذي ينتظر إصدار حكم الإعدام ، بل يتوقعه كل لحظة: فقد " كان صامتاً صمت الليل، وكافراً بكل شيء ، عيناه زائعتان ، إذا نظر إلينا لا يرانا "205، ف "العينان تفضحان أحياناً ، لكن عينيه لم تكونا تقولان شيئاً ، كانتا جامدتين تماماً كأنما قدتا من زجاج" 247، ولعل موت الانفعالات هنا أمر طبيعي إزاء ما يحدث في المعتقلات من سلب للإرادة وقتل للإنسانية ومحق كرامتها وعزتها، يقول أحدهم

" لم نكن نملك في الزنازين إلا أجسادنا ! حتى أجسادنا لم تكن لنا ، بل كانت مرهنة لسلطة جلاد لا يعرف الإنسانية"195 ، بل غابت حتى لغة الكلام ولم تعد لها معنى " الأجواء تنضح بالرعب ، رماد الخوف ملاً الحلوق فتبيست ولم نعد ننبس ببنت شفة ، ولم نكن ندرى ما نقول "310 .

11. لغة التسامي :

التسامي في علم النفس ردة فعل عكسي تجاه الطاقة السلبية بأن يعيد توجيهها ويجوّلها إلى دلالة إيجابية، وذلك لتحقيق أهداف مرغوب فيها متفق عليها، فهو آلية نفسية لحماية النفس من شدة التوتر

والضغوطات، أو هو تحويل جزء من الطاقة لتحقيق أهداف اجتماعية ونفسية، وتعبير سيجموند فرويد هو انتقال الغرائز الطبيعية للإنسان إلى هدف أعلى، وعدم تجاهل الصراع الداخلي أو الدافع الغريزي بل الاعتراف به وتحويله لموضوع بديل، وتوظيفه لتحقيق هدف إيجابي، ويرى فرويد أن الحضارة برمتها نشأت نتيجة آلية التسامي، وفي هذه الرواية تتعرض الشخصيات للصراعات الداخلية الشديدة التي تدفعها دفعا للسلوك السلبي من اكتئاب أو حزن وإحباط وقد يؤول بهم الأمر إلى الانتحار، وعند سير أقوالهم وأفعالهم من خلال مسارات السرد في الرواية نلاحظ أنهم لجأوا -لاشعوريا- لآلية الدفاع النفسي (التسامي)، ومن الممكن تصنيفه إلى عدة أنماط :

1. التسامي بالرابطة الاجتماعية : " وحدثنا الحنة ورققت قلوبنا ، وعظمت الإنسانية الموجودة في أعماقنا ، فصار وجعنا واحدا ، حزنا فرحنا انتصاراتنا الصغيرة ، انهزاماتنا ، كلها كانت توزع علينا بالتساوي" 221
2. التسامي بالشعر : " كان الشعر في السجن للشاعر ولنا طوق نجاة ، طريقة في التحليق بعيدا فوق جدران السجن العالية ، وسيلة للحلم الذي كان عزيز المنال ، بالشعر كنا نبعد قبضة السجان عن أعناقنا فنتنفس قليلا ، بالشعر كنا نرفع جدار السجن الجاثي فوق صدورنا فنغني قليلا ، بالشعر كنا ننسى ، والنسيان في السجن يأتي في مقدمة النعم التي يمكن أن يحظى بها السجين .." 114
3. التسامي بالدعاء : وهي لغة انفعالية تمثل ردة فعل المسجونين إزاء ما يرونه من مواقف العنف والتعذيب يقول السارد : " كنا فقط نلهج في سرنا بالدعاء على الظالمين ، أو بطلب الرحمة للراجلين " 414.
4. التسامي بالإيمان والرضا بالقدر: ويتمثل في قول عمرو النامي " لم ندخل السجن باختيارنا ، لقد اختاره الله لنا، ومن الأدب مع الله أن نراها نعمة ، فالله لا يختار لنا إلا الخير" 127.
5. التسامي من خلال الاحتواء وتقبل الآخر: كما في قول الرواي وهو يصف علاقات المعتقلين: "غير أننا كنا نؤجل خلافاتنا، ونرميها وراء ظهورنا، ونبحث عن الإنسان فينا" 112.

12. اللغة الانفعالية للجمادات:

حيث ينتقل الانفعال من الذات إلى الأشياء حولها، والمبدع يرى نفسه في عالم الأشياء والجمادات واللائسانية، فيسبغ عليها صفات الإنسان، أي يؤنسها، فهو شعور واع ومتعال لإعادة صياغة الرؤية الإنسانية إبداعياً، والتعامل مع الأشياء المحيطة بنا وتحويلها إلى فواعل مفعمة بالحركة والإيجابية في العالم التخيلي، تصور تخيلي لا يخضع للمنطق والواقع، يضيف فيها الأديب صفاتاً إنسانية على الأمكنة ومكوناتها الحية والصامتة كالحوانات والطيور والأشياء وظواهر الطبيعة، كما يضيفها على بعض العوالم المجردة كالأخلاق والشمائل، ويجعلها كالإنسان تتحرك وتتفاعل وتؤدي وظيفة في الخطاب الأدبي، ويعبر الأديب من خلالها عن رؤيته الفكرية. وتتجلى عدة أنوع للأنسنة في الرواية، منها:

1. أنسنة الفضاء المكاني: وهو فضاء السحن الذي تحول من جماد أصم إلى مخلوق حسّاس يختار ساكنيه ويألفهم ويشتاق إليهم: "الزنازين تختار أحيانا ساكنيها، إنما تألف أناسا دون آخرين مثل البشر، ربما تحب وتكره، وربما تدفع بمن لا تألف معهم إلى خارجها، إلى مناف أخرى وأوطان متعددة" 37
2. أنسنة الزمان: "الزمن يفعل كل شيء، يقذف بآناس إلى خارج دائرة الحياة، ويستجلب آخرين، يرسم دمة على خد أحدهم، ويمسحها بمنديل الصبر والنسيان عن خد آخر" 149، إن نسبة هذه الأفعال للزمان نوعٌ من المجاز العقلي، وهو أن نسند فعل السرور أو الحزن إلى الزمن لا لشيء إلا لأنهما وقعا فيه، وهو نوع من الانفلات من وطأة العجز.
3. أنسنة الأشياء ومنها: الكتب، يقول الراوي واصفاً أحد الطلبة الذي عاقبه النظام السياسي بالإعدام شتفاً في جامعته وبجانب المكتبة، وأمام زملائه وزميلاته: "بكته الكتب على الأرفف التي كانت تتابع المشهد من زجاج النوافذ المطلّة على الساحة، بكته الحروف التي مرت عليها عيناه، وانتحبت عليه الكعوب والأغلفة التي لمستها كفاه" 279.

النتائج والتوصيات :

في نهاية البحث نصل إلى النتائج التالية :

1. اللغة الانفعالية هي اللغة التي تعبر عن الوجدان الإنساني بما يشمله من عواطف ومشاعر وانفعالات وتحاطبه وتؤثر فيه محدثة تأثيراً معيناً في السلوك الإنساني"، وعادة لا تهدف إلى الإقناع المباشر بقدر ما تؤدي إلى التأثير العاطفي في المتلقي.
2. انتشار اللغة الانفعالية في الرواية يعد نوعاً من أنواع الانزياح الروائي والتداخل النوعي، وهو ما يسمى بالسرد النفسي ، والسرد التأملي.
3. سيميائية اللغة الانفعالية تُستنبط من طاقاتها الدلالية والصوتية والمعجمية والتركيبية.
4. توصل البحث إلى اثنا عشرة نوع للغة الانفعالية في رواية طريق جهنم، هي: لغة الألم ، لغة الصراخ ، لغة الاستسلام والرضوخ، لغة الصمود والمقاومة، لغة السكينة الجسدية والنفسية ، لغة الأُنس، اللغة السادية، لغة العنف أو العنف اللغوي ، لغة السخرية ، لغة الجسد ، لغة التسامي.
5. تتموقع اللغة الانفعالية في المستوى الأسلوبي والخطابي في السرد الروائي، حيث تبرز فيه تقنيات السرد بالحالة الانفعالية للراوي باعتباره الذات الساردة، بحيث يُسقط تدايماته الانفعالية على اللغة السردية، ويكتسي العالم النصي بهذه الحالة.
6. تنقسم اللغة الانفعالية إلى نوعين لغة انفعالية تعبيرية، يعبر بها الراوي عن مشاعره مباشرة، وهي قليلة في الرواية مثل: الصراخ والتعبير عن الألم الحسي والنفسي أو السكينة الجسدية والنفسية، ولغة انفعالية وصفية تصف الحالة الانفعالية والوجدانية للفرد أو الجماعات وعادة ما تكون أكثر عمقاً وكثافة وتركيباً وإشارية، كما ورد في اللغة السادية ولغة التسامي ولغة الجسد، وهي كثيرة الحضور ولها صلة بعمق ثقافة الراوي - وهو الذات الثانية للروائي - ومعرفته بواطن النفس البشرية.
7. تهتم الرواية الجديدة بتقنية الوصف، فلم يعد حياذيا يستخدم أداة للتعريف بالشخصيات وتقديم الفضاء المكاني في الرواية، بل أصبح يُستقى من الحالة الوجدانية والنفسية والانفعالية للوصف، الأمر الذي ساعد على وجود مثل هذه اللغة في تضاعيف السرد.

8. خلص البحث إلى أن أدب السجون والمعتقلات من أنسب الأنواع لدراسة مثل هذه اللغة، لصدوره عن المعاناة الإنسانية العميقة والحقيقية.

التوصيات:

توصي الباحثة بدراسة هذه اللغة بتطبيق مناهج أخرى كالمناهج النفسي، وسميائية الأهواء، والمنهج الأسلوبي، وحوارية ميخائيل باختين، والمنهج السييسونصي .

المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم برواية قالون عن نافع.

أولاً: المصادر:

1. العتوم، أيمن، رواية طريق جهنم، عصير الكتب، مكتبة 322، مكتبة أحمد المشرف: محمد شوقي، (د.ت).

ثانياً: المراجع:

2. أوجدن، تشارلزكي، وريتشاردز، وايفر أرمسترونغ، معنى المعنى دراسة لأثر اللغة في الفكر ولعلم الرمزية، ترجمة: كيان أحمد حازم يحيى، دار الكتاب الجديدة المتحدة، 2015 م.
3. إفيثش، ميلكا، اتجاهات البحث اللساني، ترجمة: سعيد عبد العزيز مصلوح ووفاء كامل فايد، المجلس الأعلى للثقافة، الجزائر، ط2، 2000م.
4. أوستن، جون، نظرية أفعال الكلام العامة، ترجمة عبد القادر قينيبي، أفريقيا الشرق، 1991م.
5. بنكراد، سعيد، السيميائيات مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار، ط1، 2012م.
6. جوزيف، فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي - محمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1960م.

7. حمداوي ، جميل، الاتجاهات السيميوطيقية التيارات والمدارس السيميوطيقية في الثقافة الغربية ، شبكة الألوكة ، 2015م .
8. خلف، عبير عبد العزيز ، لغة الجسد وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى الفرد دراسة وصفية إكلينيكية ، مجلة الدراسات التربوية والإنسانية ، كلية التربية ، جامعة دمنهور ، مج 13 ، ع 4 ، ج 2 ، 2021م .
9. سارتر ، جان بول ، نظرية في الانفعالات ، ترجمة: سامي محمود علي وعبد السلام القفاش ، تحرير: محمد العناني ، مكتبة الأسرة، القاهرة ، 2001 م .
10. عرار، مهدي أسعد ، البيان بلا لسان دراسة في لغة الجسد ، جامعة بيرزيت ، 2007م .
11. عطية ، نوال محمد ، علم النفس اللغوي ، المكتبة الأكاديمية ، مصر ، ط 3 ، 1995م .
12. عمر ، أحمد مختار ، علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط 6 ، 2006م .
13. الغامدي، هند علي ، اللغة الانفعالية دراسة في أشكال التعبير في الجامع الصحيح للإمام البخاري رسالة ماجستير ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، 2018م .
14. غريماس، ألجيرداس.ج، وفونتان، جاك ، سيميائيات الأهواء من حالات الأشياء إلى حالات النفس ، ترجمة: سعيد بنكراد، دار الكتاب الجديد المتحدة ، ط 1 ، 2010م .
15. المالكي ، عبد الحكيم، التداخل النوعي والأجناسي أداة لتحليل الرواية – محاولة للتفسير والتطبيق على روايات عربية – ، سلسلة الدراسات السردية 6 ، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع ، ط 1 ، 2021م
16. المالكي، محمد عبد الحميد ، سلطة الكلام.. مشروع بيان السيميائيات السردية، دار البيان، بنغازي، ليبيا، ط 1 ، 2005م .
17. مصطفى، عادل ، المغالطات المنطقية فصول في المنطق غير الصوري ، مؤسسة هنداوي ، د.ت .
18. ابن منظور ، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل ، لسان العرب ، دار صادر ، (د.ت) .

19. يوسف ، أحمد ، الدلالات المفتوحة مقارنة سيميائية في فلسفة العلامة ، منشورات الاختلاف الجزائر، المركز الثقافي ، المغرب ، الدار العربية للعلوم لبنان ، ط1 ، 2005م.
20. ابن الوليد ، مسلم "صريع الغواني" ، الديوان ، تحقيق: سامي الدهان ، دار المعارف القاهرة ، 1958م.